الدرس الغربي الحديث في تجاوز الأفكار الانقسامية

محاضرة أ/ حسن بن حسن

موضوعنا اليوم عن الدرس الغربي الحديث في تجاوز الأفكار الانقسامية وهي الأفكار التي تقسم والتي تؤدي إلى الكوارث والمآسي التاريخية الكبرى للحروب الأهلية والفتن. ووضح أن الحديث في هذا الموضوع ينطلق من أهم واقع حقيقي مما تعيشه الأمة اليوم من انقسام لكن ما ينذر به أخطر منه بكثير اليوم نشهد حياة واحياء الأفكار الانقسامية في الأمة وهذه الأفكار اذا وجدت مجال لها للاشتغال واللإشتعال مثل العراق فانه من الممكن أن تجد هذا الاشتعال في مكان آخر لو تهيأت وتوفرت لها الظروف حتى ويمكنها الاشتعال داخل الصف السني نفسه. الفتنة فجوهرها أفكار انقسامية وهي تعريف للذات وتعريف للغير وكيفية في رسم حدود الذات والغير وهذا جوهرها ويمكن أن تتخذ شكل حلة سياسية ويمكن أن تتخذ شكل نزاع على المصالح لكن عمقها يبقى كيفية في تحديد الهوية غير قادرة على الاتساع للغير وللمخالف وفي النهاية سنخرج بخلاصات كبرى.

وما أريد التحدث عنه في هذه المداخلة هو ثلاث عناصر كبرى، الأول هو لمحة تاريخية خاطفة وهي لمحة خاطفة المقصد الرئيسي منها أن نتبين أو يتضح لنا ما نمر به مرت به أمم أخرى أسوء بكثير واستطاعت الخروج من هذا النفق ، القسم الثاني يتعلق بكيف خرج الأوروبيين من هذا النفق المظلم والحرب الأهلية والفتنة، وهذا الخروج له عنوانين كبيرين الأول هو خلق مناعة عقلية مضادة للفتنة وهذه العملية وهي تحصين الوعي ضد الفتنة هي عملية تمت على آمال زمنية متباعدة وعلى مدى قرون ولم تتم في وقت وجيز وإلى الآن يخوض الغرب معاركه ولم

تتوقف إلى الآن، الأمر الثاني يتعلق بكيف ولد العقد السياسي والاجتماعي الحديث وحين التحدث عن العقد الاجتماعي يتبادر في أذهاننا جون جاك رسو ومفهوم الإيرادة العامة، والحقيقة ميلاد العقد الاجتماعي السياسي الحديث تم بطريقة معقدة وعلى آمال اخذت عدة قرون وقد توجز جاك ديسو تطورات ولم يكن جوك جاك النهاية أو الخاتمة ولكن هناك تطورات كبرى في الفكر السياسي الغربي تحاول الاحاطة بالتطورات والتحولات السياسية والتنقادات والتعارضات التي تنشأ داخل الديمقراطية السياسية وصورة فكرية وأهم شئ في هذه المداخلة هو متابعة التطورات دون أن نفصل فيه تفصيل دقيق واقول أن الغرب عاش ما نسميه جان ديلي مو وهو مؤرخ فرنسي كبير موجة كبيرة من الخوف عمة الغرب كله وقد تركزت هذه الموجة بين منتصف القرن الرابع عشر والسابع عشر وهذه الفترة كان لجون ديلمون مجلدين كبيرين إسمه الخوف في الغرب كان يصور انعدام الأمن النفسي وانعدم الاستقرار والخوف الذي عم الغرب على مدى أربعة قرون الغرب ، وترجع أسباب هذا الخوف هو توالي المصائب والكوارث الطبيعية كالزلازل وغيرها والمجاعات ومن الثورات والفتن التي ليس لها أفق والتي أثير فيها الكثير من الدماء وأيضاً بدايات انشقاق داخل الكنيسة وتمزق الوحدة الروحية للغرب وتعتبر هذه العوامل المتضافرة مع التأويل الذي كان يمنحه أباء الكنيسة وعلماء اللاهود في مختلف هذه العوامل عم الغرب كله موجة كبيرة من الخوف . والمهم في هذا كله أن مواجهة هذه الموجة من الخوف وثقافة الخوف هو الذي انتج وخلق البذور دون الاجتماع السياسي والاجتماع السياسي الحديث ولد بمعنى من المعاني دون مواجهة الخوف. يقول جون ديلي مو المؤرخ لمواجهة ثقافة الخوف تشكل باستمرار ثقافة مواجهة الخوف وهذه الثقافة هي جوهر وقلب النهضة الأوروبية وقال مؤرخ آخر ألماني كبير رن هارجوزيل يعرف الأنوار بعد قرون بأنها الجهر بهمس الضمير الحر وهو التحدث مع النفس وتحويل هذا الهمس إلى صورة لعالم متخيل ومأمول والفكر السياسي الحديث ولد في مواجهة الخوف ، والخورج من الفتنة والشقاق إلى الوئام والوفاق اعتبره فلاسفة الأنوار كما سنرى لاحقاً في القرن الثامن عشر إحدى العلامات الكبرى الدالة على الاستعدادت الانسانية للتنوع الانساني بمعنى احدى العلامات الكبرى دالة على امكانية الرقي

الاخلاقي والتقدم الأخلاقي للإنسانية هي قدرة الغرب على الخروج من الفتنة إلى الوئام والوفاق وكانت تمثل الفتنة لدى فلاسفة الأنوار أشد وأرزل أوجه الانحطاط الانساني بمعني أن أكبر أوجه الانحطاط الانساني هو الفتنة ولذلك يتحدث فلاسفة الأنوار الخروج من الفتنة بما هو تأمين سلبي للتقدم الأخلاقي للتنوع الانساني والأنوار كلها فلسفات تتحدث عن تنوع ومفهوم التقدم مفهوم معقد لكن تعرض لإخفاقات كبيرة تاريخية مريعة لكن الذي يغيب عن الذين يتحدثون عن التقدم وأن هذا المفهوم لدى الفلاسفة الأنوار كان مفهوماً أخلاقياً وهو القدرة الانسانية على التقدم الاخلاقي ومظهر كبير لدى الانسان للاستعداد للتقدم كنوع للتقدم الأخلاقي هو الخروج من الفتن. وهناك مظهر آخر كان يتفهمه فلاسفة الأنوار هو الخروج من الحرب نحو السلم الدائم وقدرة البشرية ان تحقق عن طريق العقل مالم تحققه عن طريق الحرب وكان يتنبأ مالمو بنت بالسلم الدائم ولديه كتيب بهذا العنوان. إذن الخروج من الفتنة والشقاق إلى الوئام والوفاق كان يظر إليه لدى فلاسفة الغرب على أنه علامة من علامات التقدم الأخلاقي للنوع الانساني وعلى أنه مظهر من مظاهر التأمين السالب للتقدم الأخلاقي للإنسانية وهناك فقرة سريعة للتنفيذ حتى لا نمر بهذه المعاني الكبيرة. إذا اجتاحت موجات الخوف أوروبا من منتصف القرن الثامن عشر وفي نصف الألفية هذا يتركز من ١٨٤٨ إلى ١٨٦٠ وهي المساحة الزمنية التي تضاربت فيها المصائب والكوارث والشقاق والفتن وعملية إبادة كادت تشل الغرب شللاً كاملاً فقد داهمة المجاعة الكبرى الناس بين عام ١٩١٥ واستمرت لعام ١٩١٧ وانتشر الطاعون الأسود عام ١٩٤٨ وعادة الأوبئة الفتاكة التي كانت تحصد الأرواح حصداً وتتألف الثورات وما يرافقها من ابادات جماعية وانقسامات حادة ، ثورة كارلس فرلندين البحرية ١٩٢٨ والثورة الفرنسية عام ١٩٥٨ وثورة ليسيون في لورانسا عام ١٩٧٨ وثورة العمال بانجلترا ١٩٨١، وحركة لاكورب لابوشيا في باريس عام ١٩٧٠ بداية الحصار وتسيج الملكيات في زوكليز في ١٩٧٠ وتتابعة الحروب التي انهك الشعوب بين فرنسا وانجلترا حتى تبعتها حرب الوردتين والتي مزقت انجلترا من عام ١٩٥٤ إلى عام ١٩٨٤ ويضاف إلى ذلك الحملات الصليبية الداخلية، والتي كانت الكنيسة تشنها على الهارتقة ونحن نعرف الحملات الصليبية بالخارج لكن القليل الذي

يعرف وجود حملات صليبية داخلية سبقت كانت تشنها الكنيسة على الماريقين والخارجين على السلطان. وأشهر هذه الحملات هي التي كانت موجودة في القرن السادس عشر عام ثمانية ومئتين ألف ميلادي التي شنتها الكنيسة على جماعة ليكاتار أو الطهريين كما كانوا يسمون أنفسهم وهي فرقة دينية جديدة حينها ذات آراء ميسرة ومقبولة شهدت رواج اجتماعي واسع كرفضه مفهوم اللعنة الأبدية التي كانت الكنيسة تستبحاه بمقتضاه دماء خصومها ورفضهم لمفهوم الخطيئة الأصلية الذي جعل المرأة أول مذنب ورفضهم لهذا المفهوم وجعلهم يخولون المرأة مكانه ويلوج مناصبهم الدينية إضافة غلى زهدهم ورفضهم جمع الضرائب الكنيسية الأمر الذي جلب لهم تعاطف الأمراء الذين كانوا ضد الكنيسة جوهرها وكانت تبحث عن فكر ايدلوجي ونحن نعلم دعوة مارتن لوثر لما كانت قد نجحت لولا وقوف بعض الأمراء ودعمهم. ومن هنا انطلقت حملة الكراهية وأبادت سكان ديزي في فرنسا وكانوا يبلغون خمسة عشر ألفاً وكذلك سكان كاكاسون في فرنسا واستولى الصليبيون على مدينة تولوز معقل الطائفة وعندما استولوا عليها داخلياً من أجل تخويف الناس حتى لا يفكروا فيه وسير في الأرياف من مائة أسير وذاقوا جميع ألوان العذاب وقطعت أيديهم وأرجلهم وقيدهم تقييد واحد وجعلهم يسيرون مع بعض، وما وقع بعد ذلك فقرات لا أستطيع التحدث عنها من بشاعتها والتفنن في التعذيب والقتل ولا يتفكر عنهم، فالغرب قد عاش الكثير من العذاب أكثر منا نحن غير أن هذه الحملة لم تقتضي على هذه الطائفة ومرت بمقاومة أدبعها في فرنسا الذي أرسل جيشه عام ١٩٤٤ لكي يوقوا مقاومتهم وبعد حصار استمر عاماً بقرية لكن تحصل بها ما تبقى منهم لكن سقطت هذه القرية فقام بالقتل وأحرق مئتين من هذه الطائفة محرقة كبيرة واحدة وبعد كسر شوكتهم واصلت الكنيسة حملتها حتى تصل لمحاكم التفتيش التي تفننت في ايداع وسائل التنكير والتعذيب والارهاب وقد استمرت هذه المحاكم من القرن الثالث عشر واستمرت قروناً ولم تتوقف في أسبانيا عام ألف مائة وأربعة وثلاثين وهو زمن ليس ببعيد ومحاكم التفتيش تعتبر وصمة سوداء في التاريخ الأوروبي ، وهناك بعض المثقفين الغربيين يقولوا كان لديها دور تحديثي بمعنى أنها لم تجعل الفكر ينتشر، ما أريد ما أقوله هو أمرين بالنسبة لهذا المجال التاريخي

الأمر الأول أن الإصلاح الديني مع مارتن لوثر سبقه تراكم بمعنى له أنه بدأ من القرن السابع الميلادي في ذهن شخص يسمى مارتن لوثر والاصلاح الديني حركياً من القرن العاشر إلى حدود القرن الخامس والسادس عشر توج بظهور الحركة البروتستنطية وباستمرار عملية الافكار الاصلاحية تنضج على أفكار متطاولة وعبر تعاقب الأجيال بمعنى أنها لا تولد مكتملة دفعة واحدة وهذا لن يحصل وهذا منطق تاريخي ، وعندما حل القرن السادس عشر بدأت الانقسامات في أوروبا بطريقة كبيرة وأصبحت القدرة التوحيدية المسيحية في خبر كان وفي ليلة القديسيين في عام سبعة عشر وخمسائة بعد الألف علق أحد رجال الدين من مدينة ساكس بألمانيا علق افكاره الخمسة وتسعين بأطرحة واضحة ودقيقة تدور كلها حول رفع سلطة الكنيسة في سلطة البابا وجمع ونبذ آراء الآباء والمجامع والتقاليد والدعوة للعودة المباشرة للكتاب المقدس ورفض احتكار التأويل ورفض سلطة الغفران ونزع الوساطة بين العبد وربه إلى آخره وهذا الشخص لم يكن أحد آخر غير مارتن لوثر، وقد نشأ ملك انجلترا رابع كنيسة قومية سماها الكنيسة الريقانية تقوم على المزواجة بين الكاثوليكية والبروتوستانت. وقد طور جو كارفن بفرنسا نسخة أكثر صرامة وتشدد من البروتستاتية سنة أربعين وخمسمائة وألف حتى كان شق الانقسام شق أوروبا بأكملها، وكان الاصلاح الديني بداية وفاتحة للأصل الديني بين الحروب الدينية الطاحنة بين البروتستانت والكاثوليك والحروب التي تعج بأكثر الفواجع والمآسي. توالت على الكنيسة الكوارث الطبيعية والفتن وأخيراً الهرتقة أو تشكل بذور الانشقاق التي سرعان ما أصبحت تياراً قوياً داخل الكنيسة وقسمتها تقسيماً نهائياً لا رجعة فيه، الكنيسة كانت تبحث لتفسير لأنها كانت تعطي كل الأمور للناس للعالم فهي المؤسسة القائمة بالأفكار فالتأويل اعتبر علامات قيام الساعة وهي المنبأة بتحقق رؤيا القديسين عن نهاية العالم ونهاية العالم لدى المسيحيين لها رؤى مختلفة لكن اجتمع كلها في شئ واحد هو أن نهاية العالم بمجئ السيد المسيح وتعيش الناس في سعادة لمدة طويلة ولابد من علامات كارثية كبرى تنذر بنهاية العالم وقدوم المسيح. واعتبرت الكنيسة أن الأوبئة والزلازل والمجاعات هي عقاب الله للناس بظهور الهارتقة داخل الكنيسة ويعني هذا التأويل الذي جمع بين رؤي القديسين وعلامات الكارثة المؤذنة بنهاية

العالم وظهور الهراقة وقد جمع هذا كله في تأويل واحد سيمكن الكنيسة من وصم أعمال الشيطان وأنهم الحاملين العلامات المؤذنة بنهاية العالم وحشرهم في هذه الخانة هو الاستباحة المطلقة لحروماتهم وبدأت محاكم التفتيش وبدأت المحارق واستمرت لقرون لأن الكنائس في هذه المرحلة طلبت من أتباعها أن يعلنوا ولائهم ولا يكفي أن يتركوا الكنائس التابعين لها وينبغي وإذا لم تعلن الولاء فأنت متهم تجري تفتيشاً لما في الصدور ، قد تولد من هذه الكوارث والمآسي الكبرى بدايات الفكرالسياسي الحديث الذي ولد من الخوف على مدى الخمسة قرون المنقضية و لا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا أن الحروب الصليبية على المسلمين والأندلس وسقوط القسطنطين، وأحداث كبرى غيرت الكثير احدثت فيها موجات هجرة كبيرة واحتكاك كبير بين العالم الاسلامي، والعالم الغربي الاسلامي ومن هذا الاحتكاك الكبير هاجرة فكرة التسامح من الاندلس إلى أوروبا وهذه الكوارث والفتن العظيمة تخلقت منها البذور الأخرى لمفهوم التسامح لدى مجموعة من المفكرين والفلاسفة منهم مونتاري وبوي تي ومنهم نيغازم وميشيل دوس بيتاري إلى أخرهم وكلهم في القرن الثالث عشر وقد تشكلة البذور الأولى لمفهوم التسامح والفتن كانت بدون لغة لا تنطق وتفكر وهي صفاتها في كل زمان ومكان ومعنى أنها لا تفكر أن منطق الفتنة محتجب عنهم والواقع في الفتنة محتجب عنهم وهذا سنراه لاحقاً واتجاه الفتنة نحو التفكير في نفسها ونحو انتاج أفكار والبحث عن مخارج هو بدايات الخروج من النفق والفتنة وكل واحد في الفتنة يدافع كل شخص عن نفسه أياً كان موقفه ومنطق الفتنة الذي لا يفكر مازال في العمه لكن يوم أن يتشكل تيار فكري ينتج الفتنة كفتنة بصرف النظر عما يحمله هذا الطرف أو ذاك وهو رفض الفتنة وهي شر مطلق، وعقيدتك يجب ألا تصل وتستبيح حرمات الآخرين وعندما يتشكل تيار فكري تلاحظ الفتنة كفتنة بصرف النظر عن مواقف أصحابها وبدأنا من الخروج من منطق الفتنة وكيفية الخروج منه يبدأ ببناء تيار يحارب الفتنة كفتنة، وقد تشكل في الغرب هذا التيار الذي بدأت طلائعه تتخذ الشكل والصورة الواضحين، منذ القرن الثالث عشر مع مجموعة من المفكرين الأعلام في هذا الباب. وقد تشكل مفهوم التسامح عند مجموعة من المفكرين منهم كما ذكرت والتسامح كان يعني في البداية معنى أولياً وقد تعرض

التسامح لمفاهيم دلالية ولم نيضج من اليوم الأول وتعرض لسلسلة من التقلبات الدلالية أومن التطورات الدلالية . وكان يعني مفهوم الدلالة الأولية الاعتراف بالمخالفين كشر لابد منه فالمخالف لايمكن إلغاؤه لكن هو شر لابد منه إذن المفهوم الأول للتسامح الذي تبلور في القرن السادس عشر كان الاعتراف بالمخالف كشر لا بد منه، ويسشهد مفهوم التسامح تطوراً نوعياً في القرن الثامن عشر وسيصبح هذا المفهوم ثمرة للتفاهم والمحدودية بمعنى إذا كنا كلنا بشر ومتناهين ومحدودين ويقع البشر تحت هذه الخاصية الإيدولوجية المحدودية التناهي، والحقيقة أنها ليس مطلقة لأحد والحقيقة ليس هناك امكانية في عالم البشر لانتاج ما يمكن أن نسميه بالحقيقة المطلقة وفي مجال استمتاع الحقيقة ولا يوجد قطب سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي يمكنه أن يحتكر انتاج حقيقة مطلقة، والانتاج الاجتماعي الحقيقة بالتعريف متعدد لأن الانسان كائن متناهي ومحدود وهي الخطوة الثانية التي تم خطوها في القرن الثامن عشر وهي ربط مفهوم التسامح بالتناهي والمحدودية، ولذلك لا يمكن لانسان الادعاء بأنه يملك الحقيقة المطلقة ولذلك الحقيقة باستمرار موزعة في النسيج الاجتماعي ولا تظهر لنا إلا من خلال أوجه وكيفيات وكل انسان له وجه من وجه الحقيقة ، وفي القرن التاسع عشر والذي يسير في نفس خط القرن الثامن عشر سيصبح التسامح على الصعيد الفلسفي حتى مع هيجين سيكون انهاء لما نسميه بالعبد والسيد وهو الصراع التاريخي الكبير وهو صراع من أجل الاعتراف يقول ان التاريخ به باستمرار صراع بين السادة والعبيد ووجوه السادة تتبدل ووجه العبيد تتغير فالسيد من الممكن أن يكون اقطاعين ومن الممكن أن يكون برجوازياً رأس مالي ومن الممكن أن يكون نبيلاً من النبلاء وتتغير وجوه العبيد أيضاً فمن الممكن أن يكون قناً أو عبداً إلى آخره وجوهر الصراع واحد هو من أجل الاعتراف ويكون الصراع يكون في تاريخ البشرية فالناس الذين يخافون الموت ويخافوا أن يخوضون الصراع من أجل الخوف من الموت هم عبيد والذين لهم جرأت اقتحام الموت هم متحررين وهو فكر معقد ويقول أن الثورة الفرنسية أنهت على الصعيد النظري هذا الصراع من أجل الاعتراف لأنها أرست الاعتراف الشامل للانسان والاعتراف بالقيمة الانسانية للانسان بصرف النظر عن موقعه الاجتماعي أو لونه أو عرقه إلى آخره وعلى المستوى

النظري فقد أنهي هذا الصراع كما يقول هيجل وعلى المستوى العملي هناك فجوة لا تزال قائمة وتحتاج لتجسير، والتطور المقبل اللاحق في البشرية سيكون في هذا الاتجاه. وفي القرن العشرين هناك من يذهب فيما يسمى بالحداثة فيما التطور الجديد الذي شهدته التسامح وهو ان التسامح لم يصبح له علاقة بالحقيقة ولا بالأحقية، وهو حق في الاختلاف لا علاقة له بمفهوم الحقيقة لا الاشتراك في التناهي والمحدودية بصرف النظر عن فكرة الكائن ولو كانت فكرة شيطان والتطور الأخير داخل الفكر الغربي داخل فلسفة الاختلاف وليس على سبيل وجه التقييم.

والذي يهمنا هو أن الفتنة بدأت تجد طريقها للحل عندما بدأت تفكر يعني دلالة محددة عندما تشكلة تيار جديد مستنير مناهض للفتنة كفتنة وليس همه الانتصار بين هذا الطرف وذاك فمن الممكن أن يكون هذا الطرف لديه أن يعتقد بوجود اساطير فاليعتقد وهو ضد الفتنة ومنطق الفتنة ولا بد من العثور على أسباب الخروج من الفتنة وسيكون ذلك بأمرين الأول تحصين الفتنة والوعي ضد الأفكار الانقسامية وعملية التحصين تتخذ شكل موجات فكرية متعاقبة كلما قلت الموجات الاقصائية العادية الانقسامية برأسها كلما تشكل منحة وتيار فكري يحاصرها ويكشفها وينهكها ، وستشكل في هذا كله نوع من الحصانة الذاتية الحقيقية اتجاه عوامل الفتنة وفي نفس الوقت سيتخلق بالتدريج عقد اجتماعي وسياسي جديد له هو الآخر مفرداته ونظن أن العنوان الوحيد للعقد الاجتماعي الحديث هو الارادة العامة بمعنى الانتخاب والذي يختاره الناس باسم السلطة، وهذا قطعة داخل ماكينة اكبر ليس هو العقد الاجتماعي السياسي الحديث كما سنرى، كما سنرى أن العقد السياسي الحديث لم يولد إلا من مواجهة الفتنة بمعنى أن بدايات تخلقه وتشكله في استبعاد الأفكار الفتناوية وكيفية اقامة مجمتع سياسي لا مكان فيه للأفكار الفتناوية والانقسامية المميتة ؟ ومن هذا السؤال كيف نقيم مجتمع سياسي من الأفكار الفتناوية ولد الاجتماع السياسي الحديث برمته وهذا جيد.

سأتحدث عن التحولات الفكرية الآن التي منحت الانسان الغربي حصانة ضد الأفكار الفتناوية فما هي هذه التحولات على الصعيد العقلي ؟، ثم ما أسميته بتشكل مفردات جديدة لعقد اجتماعي وسياسي حديث، وكيف تشكل هذا العقد كعقد يمنع

الأفكار الفتناوية كأفكار اجتماعية وسياسية وهذا بالطبع درساً تاريخ في الدراسات المكثفة. تعرفون أن الأفكار الانقسامية مميتة هي باستمرار كيفية في تعيين الهوية ورسم حدود الذات وكيفية في النظر للغير وهذا هو جوهر الفتنة وهذه كيفية فيتعيين حدود الذات و الكيفية في النظر في الغير غالباً ما يستعين بالتاريخ أو غالباً ما يكون التاريخ محور في هذه العملية بمعنى أن الكنيسة تراث والخروج منه يعني الخروج من تاريخ قرون والخروج منه قطع منه قرون شكلت فيها الانسان الغربي ووجدانه وعقله وهويته فالعملية ليست سهلة ولن أتحدث عن تفاصيل تاريخية، مثل علاقة الانسان الغربي بالتاريخ.

العنوان الأول الكبير ضد التحصين العقلي العنوان ضد عوامل الفتنة الذي استمر لقرون وعلى آمال متطاولة هو ما يمكن أن نسميه بتوجيه العلاقة بالتاريخ نحو المستقبل وانشاء علاقة جديدة بالتاريخ وتوجية العلاقة الجديدة التاريخ بالمستقبل وتحرير المستقبل من التاريخ وهذه العملية استمرت لقرون وتحولت هذه العملية في القرن العشرين لمدارس تاريخية بالغت القوة في علم التاريخ. هذا التوجيه للعلاقة للتاريخ نحو المستقبل ربما يلخصه تسائل نيتش في كتابه اعتبارات زمنية ويدور الكتاب كله حول سؤال واحد هو ما هي منفعة التاريخ بصرف النظر عن تداعيات فلسفة نيتش المهم أن هذا السؤال يلخص التحولات الكبرى التي طرأت على العلاقة للتاريخ منذ مطلع الأزمنة الحديثة إلى الآن، ويتحدث نيتش بتهكم وبطريقة مزاجية عن الذين يقعون تحت سلطة التاريخ ووطأته وثقله ولا يستطيعون منه فكاكاً ويقول عليهم هؤلاء ناس يولدون بشعور بيضاء لأنه يكون تحت ثقل التاريخ ومعناه أن العلاقة بالتاريخ تتحدد بالأمل والرجاء والأمل في المستقبل فمن الممكن أن يكون التاريخ مجالاً لحياة الروح وللإحياء ومصدر ملهم للإحياء والإيقاذ ومن الممكن أن يكون سماً وزعافاً قاتلاً فالعلاقة بالتاريخ لها أوجه متعددة وتتحدد كلها بالسؤال الكبير الذي يقول ما هي منفعة التاريخ للحياة ؟

حين نطرح هذا السؤال لن يكون هناك وجه واحد للتاريخ بالضرورة وستصبح علاقة متعددة الأوجه وسنجد في التاريخ صناديق سوداء مغلقة ملغومة وسنجد في التاريخ لوحات رائعة للرقي الروحي والسمو للانسان وقدرته للبلوغ لأسمى الدرجات الأخلاقية

وسنجد أيضاً عبارات ودروس وعبر نريد أن نفعله الآن. إذن توجيه العلاقة بالتاريخ نحو المستقبل يعني أن النظرة للتاريخ ستكون متعددة ومتنوعة ولن تكون من نايحة واحدة سيصبح خريطة بها ألوان متعددة ومعنى هذا أن طاقة التطلع للمستقبل لا تحي بالتطلع لأمجاد التاريخ لكن تولد طاقة بناء المستقبل من قوة القطع مع التاريخ وقوة القطع مع التاريخ تولد طاقة. وقد استمدت الثورة الفرنسية طاقة بقوة القطع فيما تسمى بمملكة الظلام والتبشير بمملكة الأنوار. وفي مدار هذا السؤال وفي أفق هذه الوجه العامة وفي توجيه التاريخ نحو المستقبل سيتشكل تيارات تاريخية عميقة تيارات خاصة بعلم التاريخ تفرق وتقيم تعارض بين الذاكرة والتاريخ وتتشكل الذاكرة من خيالتنا ومن رغباتنا ومن انفعالتنا وفي كل أمة هناك ما يمكن أن نسميه بالهوية السردية وهي الصورة الذاكرية التي تبنياها جماعة تاريخية عن نفسها وتبني عن نفسها صورة من الصور نحو المثال وهي صورة ليس بها توترات للواقع الفعلي المعيشي وليس فيها توترات التجربة والمعاناة الفعلية وهي تصور صورة إيدولوجية تحول فيها الذات لملاك طاهر وتحول الغير والمخالف لشيطان رجيم وتفرق بين الناس والأبيض والأسود وهكذا، فالذاكرة الجماعية لدى الأمم والشعوب هي ذاكرة لا نقدية والروافد التي تتدخل في تكوين الذاكرة روافد كبيرة وكثيرة ، غير أن عمل المؤرخ يجب ألا يخضع للذاكرة الجماعية وهو الذي يصحح الذاكرة الجماعية ويشتغل ضد الذاكرة الجماعية وعلى تصحيح الذاكرة وتقويمها ويحاول ان يحرر من أسرها ومسلماتها ، وعمل المؤرخ الحديث هو في اعادة بناء نقدي للذاكرة الجماعية أو البحث عن الذاكرة القويمة بين حدي افراط وتفريط وهناك أمم وشعوب تعاني من ما يمكن أن نسميه نقص في الذاكرة . الغرب الحديث من المصادمات التي حدثت في الماضي غير قادرة على تدريس المسيحية في مدارسها وغير قادر على تدريس التاريخ المسيحي والاصلاح الديني وهناك حساسية مفرطة وهناك جماعات أخرى تعاني من افراط في الذاكرة يتحول فكرها الحاضر لنوع من الاستهان التكراري كأنها تكررالماضي ، والكثير من الناس قالوا أن الصرب أثناء الحروب كانوا يعانون من ذاكرة جريحة ومن ثقل الذاكرة التي أدت إلى المآسي المعروفة. فمهمت المؤرخ والمثقف هو اعادت البناء القديم للذاكرة أو البحث عن الذاكرة القويمة أو البحث

عن الحد في الذاكرة بين افراط وتفريط، وهذا معنى من معاني توجيه العلاقة بالتاريخ نحو المستقبل، ومعنى من معاني التوجيه العلاقة بالتاريخ نحو المستقبل والتحرر من ثقل التاريخ ، والمؤرخ بهذا الدور يعني من بين ما يعنيه مسائلة الوثيقة التاريخية نفسها والبحث عن الفراغات الوثيقة نفسها وعن مالا تنطق به هذه الوثيقة التاريخية ، فالوثيقة التاريخية بالنسبة للمؤرخ الحديث مؤشر وليس الحقيقة التاريخية لأن الوثيقة تخفي وتحجب أكثر مما كانت تصرح به. الذاكرة باستمرار تقوم على عملية عزل وانتقال والذاكرة الجماعية بالكيفية تقي بالصورة التي تناسب الجماعة نفسها وتستبعد ما لا يناسب هذه الصورة أو يخلخلها من الداخل ، ولذلك عمل معنى من المعاني عمل مثقف ومشتغل بالذاكرة معنى من المعاني هو هذا التحرير النقدي لهذه الذاكرة واعادة البناء النقدي للهوية السردية، وهذه العملية التي امتدت لكيفيات مختلفة في النسيج الثقافي الغربي لقرون وتعلم أن الثروة الفرنسية كلها قامت على القطع دون تمحيص حقيقي وغربلة للأفكار وعملية القطع حتى أن رواد الثورة الفرنسية اعتبروا عام الثورة الفرنسية اعتبروه العام الصفر للعالم الجديد، بمعنى تاريخ جديد بداية من عام الثورة الفرنسية وسماه الأشهر تسمية جديدة إلى آخرة وهذا كله يعبر عن وهل البعد المطلق ووهل القطع الكامل مع التاريخ وهو غير ممكن لكن نحن نتحدث في البداية عن عملية ثورية ستتحول إلى عملية نقدية وإلى تيارات فكرية عميقة حتى أصبحت من أبجديات العمل التاريخي وأن في الحقل التاريخي يعرف مسبقاً أنه يعمل في الفراغات الوثيقة وأنه يشتغل ضد الذاكرة الجماعية بمعنى من المعاني وهذا وجه من وجوه تحصين الوعي ضد الأفكار الفتناوية لأن الأفكار الفتناوية في كثير من الأحيان لا تكون شئ آخر غير ذاكرة انتقامية جريحة ، وغير أفكار أيدولوجية أن تجهل ضمن تاريخي واجتماعي ضمن ظروف تاريخية محددة وأصبحت فيما بعد معتقد جماعي وقلت ان عملية التحصين ابتدأت بتحصين العقل وتوجيهه في التاريخ مع التاريخ نحو المستقبل وتحرير المستقبل من ثقل التاريخ وهذا تبلور في تيارات معرفية واسعة. الوجه الثاني لتحصين العقل والوعي ضد الأفكار الفتناوية يتمثل في ما يمكن أن نسميه تحليل وتفتيت منطق الوهم والخداع والأفكار الفتناوية والاقصائية مالبثت تحدث نفسها بالنسبة لأفكارها الاقصائية والايدولوجيات الكبرى

والماركسية هي نموذج لها هي إحدى الأفكار الاقصائية الكبرى فلو تهيأ للماركسية أو لو قدر لها نجحات حقيقية في الدول الغربية الرأس مالية الليبرالية لا انتجت حروب أهلية لكن قوة النظام الليبرالي تغلبت عليها وطوعتها وحولتها إلى اشتراكية أوروبية لكن لو قدر لها وهي في أصلها أفكار فتناوية و الايدلولجيات الكبرى والأنظمة التي كانت تتبني أنظمة كبر كالنازية وغيرها هي أفكار اقصائية بالغة العنف وولدت موجة كيبرة جداً تقوم على تفكيك وتحليل منطق الخداع والوهم، وقد ذكرنا أن الأفكار الانقسامية يمكن أن تكون من الذاكرة التاريخية أو من واقع التاريخ ومن الممكن أن تكون فكرة تتوجه للمستقبل ولكن تحدد نفسها تحديد لا تعطي مجال للغيرية ولا الاختلاف، ومن كبرى الأيدولوجيات من هذا القبيل، لكن نعرف أن النازية والفاشية غيرها هزمة هزمات كبيرة غير ان أن الحالتين هناك شموليات أيدولوجية تورتارية هذه الأيدولوجيات هي منظومات فكرية كبرى وتحويل النظم الفكرية إلى نسق اعتقادي تصبح معتقد (الايدولوجية) يعتقد فيه حاملة كما يعتقد المتدين في مفردات عقيدته، وتحويل النظم الفكرية إلى أنساق اعتقادية يعني تحويلها إلى منظومة مغلقة أمام أي شعاع للنور وتحويلها منظومات ليس بها منافذ للنور ولا نقدية بالتعريف . والأيدولوجيا هي قرين ليتوبي وهي التطلع إلى مستقبل وهمي سرابي وإلى شئ لا يمكن أن يتحقق وليس له نظام حقيقي في أصل الفكرة ولا في نظام الكينونة. وهذا هو جوهر ليتوبي والإيدولوجيا هي تحويل منظومة فكرية فاعلة قادرة على التقطير الجماعي منظومة فكرية يتباها جماعة تتحول لنسق اعتقادي وأما ليتوبي فهي كيفية للتطلع للمستقبل وهي كيفية جامعة جامحة، ما قام به واسع في النسيج الثقافي الغربي هو تفكيك وتحويل منطق الايدولوجيا واليوتوبيا. كيف تتشكل الايدولوجيا؟ ولماذا ينتج شخص أفكار كثيرة واهمة وضعفة ويرفضها الحس السليم وتتحول إلى معتقد جماعي يموت الناس ولا حوال من أجله، مثل أفكار هتلر النازية هي أفكار سخيفة مثل التفوق العرقي والنقاء العرقي وغيره وهي أفكار يرفضها الطفل الصغير لكنها افكار شكلت حرب عالمية ثانية مات بها ٥٨ مليون بشر وأفكار لهتلر يجيش بها الملايين، ومن هنا يتسائل الأيدولوجيين ما الذي يجعل الناس يعتقدون في أفكار سخيفة غير علمية يرفضها المنطق السليم وهم مستعدون للحياة والموت من

أجلها، فما هو السر في هذا. وقد كتبت كتب في هذا والذي يسمى سيكولوجيا الجموع. وكتبت كتب في نظريات الدعاية السياسية وكتبت كتب كثيرة في نقد الأيدولوجيا والإيوتوبيا، وهذا الرصيد الهائل لتكتب في علم النفس وعلم الاجتماع وفي الفلسفة وهو يمنح بدون شك الثقافة الغربية نوع من الحصانة العقلية والأمر يتشكل له حس فهو من الممكن أن يسمع فكرة أيدولوجية ينفر منها بطبعه وهو حس تاريخي يتشكل ويقوم على معرفة الخفايا وعلى الرهلات التأويلية يتشكل هذا الحس بالتدريج وهذا فيه نوع من التحصين ضد الأفكار الأيدولوجية والأفكار الانقسامية والاقصائية.

تيارات نقد الأفكارالتوتارية والأفكار التي حملتها وتيارات نقد الأيدولوجيا لها خلاصات كبرى، الخلاصة الأولى هو أن حامل الأيدولجيا هو إنسان في الغالب لا يكذب لكنه واهم، وهناك فرق بين الوهم والكذب لأن نقائد الحقيقة متعددة مثل الخطأ المعرفي فهي عملية غير قصدية وعندما يعرف الإنسان أنه أخطأ فلا يجد دافع للتمسك بالخطأ وهناك نقيد آخر فالانسان يكذب عن قصد ويكون معروفاً أنه يكذب والنقيد الآخر للحقيقة وهو الوهم، والانسان يعتقد اعتقاد جازم أنه على حق في الوهم ويعتقد بأن هناك سراب ووهم، وحامل الإيدولوجيا والمتطلع لمستقبل هما من هذا الصلب وفي القرآن الكريم نجد معاني دالة مختلفة في القرآن الكريم، يقول الله عز وجل " أفتطمعون أن يؤمنوا بكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون". وقلوله " ألا هم المفسدون ولكن لا يعلمون الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يسحنون صنعا". هكذا منطق الايدولوجيا والتوبيا لا يتزحزح من عقله ابداً فعندما هرب الأديب الروسي سول سين من الاتحاد السيوفتي وكتب كتابه المعروف كانت صدمة كبيرة للمفكرين الماركسيين الأوروبيين وكثير منهم رفضوا التصديق وقالوا هذا من صنع الايمبريالية الأوروبية، وينتقد ما يتحدث عنه من وقوع في الاتحاد السوفيتي بمعنى أنه يقع ما يقع وهذا هو الوعي الإيدولجي.

قد زرت أخوة في المغرب أخوين امراتين طيبين وجاءوا عند الدكتورأحمد الريسوني وكان هذا قبل وقوع حرب لبنان تموز، وكان لديهم اصرار عجيب على أن حزب الله

صناعه أمريكية وحزب الله عميل أمريكي في المنطقة، فاعمال العقل ولو جزء صغير ولو لم يكن حزب الله عميل للأمريكان لتركة طالبان وحزب الله وهذا هو العقل الأيدولوجي غير قادر على الإعمال الحر للعقل، فالعقل السني يصل لهذا المستوى، والعقل الإيدولوجي يلون الواقع كله بلون واحد. ومفتاح الايدولوجيا هو الوهم والخداع. والوهم باستمرار ثلاثة أشياء أولاً ملتقى الرغبة وهو وجود رغبة مضغوطة أو حلم جماعي مضغوط، فقد عاشت ألمانيا بين الحربين العالميتين المظلومية والقهر في حلم جماعي مضغوط، وهذه الرغبة يتوازي معها خطوط فكرية حقيقية يتوازي معها أفكار أيدولوجية. ولذلك مؤرخ الأيدولوجية وناقد الأنظمة التوتارية يقول في الحداثة وفكر الأنوار خطوط ضعف حقيقية جعلت ميلاد التوتاريات في أحضان الديمقراطية ممكنة أما الأمر الثالث فهو جموح الخيال ويعني الرغبة المضغوطة ينعكس في صورة تطلع للمستقبل لا علاقة له بالتاريخ الفعلي الملموس ويصبح المستقبل عجينة طيعة والذي يحمل الليتوبي يظن أن يمكنه تشكيل المستقبل على صورة التي يراها وهو أحد الأحداث الوهمية التاريخية الكبرى ويسمى توهم إخضاع التاريخ للإرادة، وصنع التاريخ عندما يتم فهمه جيداً في المقام الأول وصنع التاريخ وتوليد الغايات الكبرى التي يولد بها في التاريخ، وهذا الوهم وهم امكانية صنع التاريخ ووهم الإمكان المطلق. حللت حنا أرنت وهي فليسوفة يهودية ألمانية ومن أكبر فلاسفة القرن العشرين هدفها تحليل الأيدولوجيات الكبرى للأنظمة التوتارية تكون للفرضية المزمرة للأنظمة التوتارية كلها فما هي الفرضية الفلسفية التي قائم عليها الأنظمة التوتاترية، وهي ما تسميه بالإمكان المطلق بمعنى أنه يمكن أن يتخيل أن يصنع إنسان جديد وتاريخ جديد وخريطة جديدة وأن يفعل ما يشاء، وما تعنيه فرضية الامكان المطلق هو أن الانسان عجينة طيعة أو أنه كائن ليس له طبيعة أصلية وطبيعته كما يقول فلاسفة الأنوار أن لا طبيعة له لا تحدد ولذلك الانسان عجينة طيعة تتشكل مع التاريخ وهي باستمرار ثمرة التاريخ داخل الطبيعة، وتحويل الانسان لمفعول ونتاج تاريخ وصرف وتجريده من أي طبيعة أصلية، وهي متأثره بتدينها اليهودي، وتقول تحويل الانسان لعجينة طيعة يمكن تشكيلها كما تشاء، كما تسميه القابلية المطلقة للتطويع ولتشكيل الانسان الجماعي.

ولذلك الخاصية المنتظمة هي توهمها لإماكنية صنع إنسان جديد لا علاقة له بالانسان التاريخي الذي عاش من آلاف السنيني وهو إنسان يعيش بطبيعة جديدة، وقد توهمت الماركسية ومن الممكن أن تلغي الملكية الفردية تماماً لأنها ليس لها أصل في طبيعة الانسان. إذن هذه الأنظمة الفردية التريتارية وأيضاً لليتوبيات الكبرى والأحلام الجماعية الكبرى المنعكسة في صورة تطلع للمستقبل يتوهم الإمكان المطلق. الأمر الأول أنه لا يكذب لكن يتوهم، الأمر الثاني هو إنسان واهم مخدوع ، و يعني أنه ينتمي لمنظومة الخداع ومندرج داخل منظومة تاريخية مخادعة لأن لها منظومة ليس لها رصيد في سنن التاريخ ولا رصيد لها في أصل الكينونة وهي مخادعة تخدعه تمنيه بالسراب غير أن الخداع لا ينكشف إلا في النهاية وعند المآل، وقانون الخداع هو أنه يحجب قانوناً يعني المخدوع لا يعي أنه مخدوع والمتبني لفكرة خادعة ووهمية لا يعي بأنه يتبنى فكرة خادعة ووهماً فقانون الخداع لا يكون فاعلاً إلا إذا حجب منطقة والآليات التي يشتغل بها والخداع لا ينكشف كخداع إلا في داخل المطاف عند الخاتمة والمآل ويحلم بالدولة الاشتراكية التي ستمحوا الفوارق بين الطبقات ويصبح فيها العمال أسياد والتي ستجد بالتدريج نحو محو الدولة وهكذا يلقوا نفسهم أمام دولة ديكتاتورية بشعة تحكمها طبقة أرستقراطية وهي أبشع من الطبقة الرأسمالية وبها ناس متألهين ويزيدون العمال في الدول الليبرالية أحسن من العمال في الدول الاشتراكية ويجدون أنفسهم فقط مع سلبة الحرية والعدالة في التوزيع وهنا ينكشف منطقع الخداع بعد سماع كوارث تاريخية كبرى. وفي بعض الأوقات يفيق الإنسان الذي كان يجري وراء السراب ووراء فكرة خادعة ومخادعة ولذلك قانون الخداع هو أن يحجب منطقه ويحجب آلياته عن المخدوعين به وهذا يسبق على كل الأفكار الانقسامية المقسمة والمميتة وتقسم طائفة تبيح حرمات الناس وطائفة أخرى وكلها يصدق عليها هذا الأمر، وأقول ان التحصين الفكري تم على آمال زمنية متعاقبة ومتباعدة أول مفرداته هو علاقة جديدة بالتاريخ وثاني مفرداته هو كشف منطق الخداع والوهم ومن منطق الخداع والوهم كيفية صنع الزعامات المتأله ويصبح الناطق باسم الناس ويسلم الناس له أمرهم وهي آليات أيدولوجية مدروسة بدقة.

وانشاء مجال تاريخي للاختلاف لتحصين العقل الغربي من الانقسام والأفكار الإقصائية على آمال زمنية متعاقبة، وحين التحدث عن كيفية تشكيل آمال زمنية حديثة فنحن نرى ثقافات ناس يقولون ما يشاءوا ويفعلوا ما يريدون ويستيطع نظرياً محاكمة رئيس الدولة وتجد مثقفين كبار متعارضين تعارض ويزلوا لأحد بالتناقد ولا ينقص احد من آخر انتقاص حقيقي ولا يتهم الآخر في مداركه العقلية ولا يحاول أحد إقصاء الآخر اقصاء فكري من الساحة الثقافية ومعنى هذا أن هناك مجال للاختلاف تشكل تاريخياً وعلى آمال زمنية متعاقبة. وقد تشكل مجال الاختلاف نتيجة أنه معنى الصراع الحقيقي للهوية في الأزمنة الحديثة وكان صراع الهوية يتجه نحو تشكيل صراع تاريخي للاختلاف وطبيعة الدولة كان شئ لاحق ولم يكن الصراع يتجه نحو طبيعة أيدولوجية الدولة ولو كان صراع الهوية اتجه من هذا المنفى لما كان صراع الهوية يتجه نحو تحديد هوية ايدولوجية للدولة فالدولة تتبنى أيدلوجية معينة وتدافع عنها، ولو اتجه من هذه الوجه لما خرج الغرب من الفتن والحروب ومن الكوارث التاريخية للاستبداد وكان صراع الهوية يتجه نحو انشاء مجال تاريخي للاختلاف وتتحدد طبيعة الدولة من خلال هذه العملية الكبرى، ومعنى انشاء مجال تاريخي للاختلاف أننا من الممكن أن نختلف لكن لا يلغي أحدنا الآخر وعن كيفية الاختلاف نجد صيغة لوثائق سياسية تخرجنا من اختلافاتنا دون أن يرفع سيف أحد على الآخر وتشكل هذا المجال التاريخي للاختلاف بتصفية نقدية كبيرة للافكار الانقسامية بمعنى وجود فكرة انقسامية يوجد من يلاحقها نقدياً، والأفكار التي تؤدي إلى الانقسام أصناف فهناك أفكار لا تنفع ولا بد من حرب عليها وهذا معنى ويجب أن يتم تشكيل فكر مناهض للفتنة ومعناها، ولذا لا تجد مفكرين في القرن السابع والثامن عشر لم يتحدثوا عن الفتنة وتحدثوا عنها بمنطق اللعنة ومنطق عدال التعصب وعدال الفتنة. وقد تشكل تيار تاريخي معادي للفتنة ومعادي للأفكار المخذية للانقسام وهذه العملية التاريخية أدت إلى تصفية أفكار وسحبت من المسرح التاريخي وهناك افكار تنظيمي كبرى تابعة لتفكيك منظومي بمعنى أحتفظ منها أشياء ووقع منها أشياء أخرى منها المسيحية التاريخية فقدت صورتها الحديثة وتم تفكيكها

كمنظومة وتم الاحتفاظ بأشياء أخرى. ووقع إلى اليوم في المجتمعات الغربية استبعاد أفكار من الممارسة العامة ومن حقل الشأن السياسي وهناك منظومات فكرية واقعة في تفكيكها وهي ليست عملية اسقاط لكن اليوم في التسنن والتشيع هناك ما يأخذ وما يرد والتشيع ليس بمنظومة واحدة إما أن تأخذه كله أو تتركه كله وهو اعتقاد لأي شيعي لكن بالنسبة للمثقف يقول أن التشيع يؤخذ منه ما يرد وكذلك التسنن فليس كله صورة جميلة ولا صورة قاتمة فهو منظومة منها ما يؤخذ ومنها ما يرد. فالمثقف اليوم ما هي مصلحتك بأن تقوم ببحث تاريخي تبرأ فيه يازيد مثلاً من دم الحسين وهكذا. إذن فهناك أشياء من الممكن أن ترد وأشياء من الممكن أن تقبل وهذا كله عمل المؤرخ الرزين والدقيق وعمل الباحث الذي لا يخضع لفكرة أيدولوجية مسبقة ولا ينتصر بطريقة مسبقة لفكرة من الأفكار وهذا بالضرورة لا يعني أن السنة والشيعة مثلاً أو السلفيين هم في نفس الوسطية بمعنى عدم وجود تكافئ قيمي والأمر كله يحتاج لتشكل تيارات نقدية واسعة تطارد الأفكار الانقسامية والمميتة حيث وجدت وهناك أفكار تفككت وهناك منظومات فكرية أعيد انتاجها كالاشتراكية والليبرالية التي أعيد انتاجها وهي ليست بالاشتراكية التي بشر بها ماركس تغيرت وأصبحت ما يمكن أن نسميه بالاشتراكية الأوروبية. تشكل مجال حديث للاختلاف هو ثمرة هذه العمليات الفكرية المعقدة وهناك أفكار اختفت من التاريخ وهناك منظومات فككت واستبعدت فيها أشياء، وهناك منظومات أعيد إنتاجها وتكيفت إلى آخره ولولا هذا كله لما كان يمكن أن تتسم معالم هوية حدثية للغرب ولا ان تتشكل مجال حقيقي للاختلاف، ولا نتصور ان مجال الاختلاف هو مجرد وفاقات غربية وتكوين مجال للاختلاف يعني ببساطة في العقليات والذهنيات والضمير والعاطفة إلى آخره لذا ينبغي أن تأخذ مجراه.

هناك معني اخير أود التحدث عنه وهو علاقة الاحداث كلها وقلنا هناك جانبين في درس تاريخ الغرب الحديث، الأمر الأول يتعلق بحالة عقلية مضادة للانقسام أو مناعة وحصانة عقلية للوعي والوعي وقد قلنا أن هذا يتم عبر عمليات فكرية كبرى تحدثت عن ثلاثة ونتحدث عن العملية الأخيرى بايجاز، والجانب الثاني وهو كيف تشكل جانب سياسي حديث ومفردات وهذا غير ممكن اليوم. المعني الأخير يتعلق

علاقة الغرب بالأمم والشعوب الأخرى وهذا مجال من مجالات الإخفاق، وإذا استطاع الغرب انشاء مجال حقيقي للاختلاف فانه على صعيد المجالات الأخرى لم يستطع هذا وأنه انتج دلالات تحمل بصمة مركزية غربية لا أكثر ولا اقل، بمعنى أن محاولة الخروج من المركزية الغربية هي موصولة بالعقلية المركزة الغربية ومحاولات الخروج من المركزية الغربية لها عناوين كبرى والعنوان الأول هو اعدة الاعتبار وخاصة مفهوم العقلانية التي صاغته مبدأ الأنوار وهو مفهوم يستبعد الخيال والوجدان، والخيال هو بمسافة المنبذ المبعد والعقلانية التي يتحدث عنها صيغة الأنوار العقلانية العلمية القائمة على صيغة الأنوار التجريبي. وفي مدارات مثل هذا التفكير استبعد هذا النوع من الأساطير والخرافات مع أن الغرب جزء من كينونته وهويته ومؤسسه له كبرى الأفكار والأساطير اليونانية وكلها أساطير بما فيها أسطورة الكهف لدى أفلاطون والغرب الحديث وقد صيغ صياغة كبرى فالأسطورة جزء من هويته وكينونته لكن أصبح ينظر لها على أساس أنها خرافة، والاعتراف بوجود أمم أخرى هو اعادة الاعتبار للاسطورة ولأنماط التفكير الخيالي. حين التحدث عن الحداثة فهي لها اخفاقات كبرى ولها نجاحات وحين التحدث عن الحقل السياسي فنحن نتحدث عن الحداثة السياسية.